

# نداء غير مجد: ارفع عينيك عن شاشة الهاتف

## عالم افتراضي بلا حدود يفتح آفاقاً جديدة أمام المعرفة والترفيه



### الهواتف عالم جديد مليء بالمفاجآت

كانت في متناول تطبيق "سيري" على هاتف أبل الذكي، تساله صوتياً فيرد صوتياً أو نصاً؛ المعرفة التي كنا نبحث الصخر لكي نصل إليها أو نتعلمها أو نتذكرها صارت كالتالي: هي سيري! متى تأسست مدينة لندن؟ فيأتيك الرد. لعل الأجدى بدلاً من العناد "المعرفي" الذي يمارسه عدد ليس بالهين من المثقفين أو الأباء أو المربين، هو أن نراهن على حث التفكير: ليس بفلسفة قراءة معلومة وتذكرها، بل بمنطق استدعاء المعلومة لكي توظف في فهم عام وتسخير هذا الفهم في حكمة واستنتاج. حتى هذه صارت الذكاء الاصطناعي يناقشنا عليها. هي سيري ماذا أفعل؟

ويقرأها مباشرة. يريد أن يتفاعل مع دائرة ضيقة من المعارف والأصدقاء، بمن فيهم إخوته وأخواته والأب والأم والمربون، فإن تطبيق واتساب في انتظاره. الإنترنت مجرد بنية تحتية تستقر عليها هذا التطبيقات التي يتفاعل الأطفال والشباب والكبار من خلالها (المثقفون أو أشباههم أو المتصالحون مع مستويات معارفهم) مع عالم افتراضي بلا حدود. في ثورة مفردات التغيير تراجع أهمية المحتوى، خصوصاً المعرفي منه وتحتج مع هذا التراجع أصحاب الدعوة للاهتمام والتركيز والإلمام. من يهتم بتذكر معلومة بعد اليوم إذا

أطفالهم والشباب في العائلة، صار الكبار، المربون المثقفون، يعيدون النظر في مواقفهم من انتقاداتهم السابقة. تعال يا ابني، تعال يا أخي، ارفع عينيك عن شاشة الهاتف وانظر إلينا! تعالوا شاهدوا التلفزيون معنا، ودعونا نشارككم ألعاب الفيديو! ماذا حدث لكل الأحقاد المتركمة على التلفزيون الذي حرمننا من الكتاب، ومن ألعاب الفيديو التي لا تعلمك إلا إطلاق النار أو ركل الكرة؟ ما هو مصير الكتب والمكتبة؟ ينظر الأب والأم فيجدان نفسيهما في عالم غريب. الشبكات الاجتماعية ومنصات الفيديو والصور أهم من التلفزيون والكتب والألعاب. اسأل

كانت الكتب الوسيلة الأولى بل والوحيدة للمعرفة، لكن هذا تغير مع التطور التقني الذي عرفه العالم في ثورة تكنولوجية قلبت كل المفاهيم، وفتحتها على المطلق. بدا رفض المثقفين والمربين لكل الوسائل الجديدة للمعرفة أو حتى للترفيه بلا جدوى، خاصة مع ظهور الإنترنت وانتقالها من الكمبيوتر إلى الهواتف الذكية، متحررة من كل قيد. وهذا ما مثل انطلاقة أخرى رضىخ أمامها كل التقليديين، وتبددت معها كل رغبة في السيطرة على عقول الأجيال الجديدة وميولاتها.

بعداوة. التوسع في البث عبر الفضائيات زاد العداوة. قبل عشرين عاماً، صار الآباء يعتبرون أن الانفلات تزايد بدخول ألعاب الفيديو المجال، وأن الأطفال التلفزيون وألعاب الفيديو كلها على حساب الكتاب والمعارف. أين الثقافة التي يمكن أن تأتيك من الكونترولر الذي يسيطر اللعبة ومن إطلاق النار في المشهد الذي أمامك على الشاشة؟ زد على ذلك، وفي نفس المرحلة الزمنية، أن الإنترنت صارت تملأ حيزاً في حياتنا. كانت الإنترنت مرتبطة بالكمبيوتر، والكمبيوتر "قطعة اثاث" منزلية غالية الثمن، فكان الصراع على من يستحوذ عليه. الشكوك بدأت من أول يوم دخلت الإنترنت البيوت. البعض عاملها كامتداد للألعاب، وآخر كمنصة لتضييع الوقت.

بعد فترة صارت الإنترنت على قائمة مصطلحات الضرورة، مثلها مثل الماء والكهرباء. انعدت السن الآباء والكبار أمامها. لا يستطيعون بسهولة اتهامها بالهلو ولا بتضييع الوقت. الأب أو المربي المثقف صار "صديقاً" للشباب لأن إنكاره تأثير الإنترنت على العالم يضعه في خانة الجهل. السنوات العشر الأخيرة غيرت كل شيء. بدخول الأجهزة اللوحية والهواتف الذكية، صار الشباب أحراراً تماماً. أصبحوا يتحكمون بالكامل في ما يريدون الاطلاع عليه أو مطالعته أو مشاهدته. الآباء احتاروا أمام هذه التقنية المذهلة. لا أحد اليوم يستطيع الجزم إلى أين ستأخذنا.

### عالم بلا حدود

أين الطريف في كل هذا؟ في محاولتهم كبح جماح استخدام الهاتف الذكي وسيطرته شبه المطلقة على

هيثم الزبيدي  
كاتب عراقي

نبالغ في تحكمتنا بالأطفال والشباب. المثقفون منا يريدون أن يكون الجيل الجديد مشكلاً على قلوبهم. هنا لا أريد أن أشير إلى المحتوى الثقافي الذي يسعى الأكبر عمراً لنقله إلى الأكثر شباباً. هذه إشكالية تاريخية معروفة ويصعب التحكم فيها. الجديد يغير القديم حكماً. في بعض الأحيان ينسفه تماماً. ولكن اتحدت عن مفردات والبيات انتقال الأفكار أو المعارف أو صيغتها. المثقف يعتبر أن الانتقال المنطقي يرمز عبر الكتاب. الكتاب هنا ليس حصراً بصيغته الكلاسيكية، ولكن ضمن إطار معرفي أوسع يشمل المطبوعات بشكل عام. أنت تقرأ مجلة "الجديد" مثلاً وتعاملها بثقة تشبه ثقة التعامل مع الكتاب.

### من الكتاب إلى الهاتف

الكتاب منصة معرفية لها بداية ونهاية. تشتري الكتاب وتعلمه لابنك أو أخيك الشاب وأنت مطمئن. كتبه كاتب موثوق ومر على محررين وناشرين وبقائه، بل رقباء معارض كتب، وربما قرأته بنفسك. لا توجد مفاجآت في كتاب مطبوع. ومن هنا الحث على الاستئناس برفقة الكتب. قبل ثلاثين عاماً، كان الآباء يعتبرون أن انفلاتاً قد حدث عندما يرون أن الأبناء، وخصوصاً اليافعين منهم، يشاهدون التلفزيون أكثر مما يقرأون الكتب. التلفزيون لهو وليس معارف. كما أنه منفلت نسبياً. لا تعرف من سيأتي مع البث، ولا تستطيع محاصرة ما يتسلل من أشرطة فيديو إلى البيت. البعض عامل التلفزيون

# على الكاتب الرقمي أن يكون ملماً ببرامج مثل الفوتوشوب

الصورة أو الصوت وغيره) والنص هو هذه السمات مجتمعة. أما مسألة الخلط الذي يمكن أن ينتج عن اكتساب النص الورقي صفة "رقمي" بمجرد رقمته حيث يقال "نسخة رقمية بصيغة PDF" أو "نسخة رقمية بصيغة وورد".

ولد التساؤل حول خواص هذا الإبداع الجديد وملامحه (الإبداع الرقمي) مثل البلاغة الرقمية التي تعني فن الإقناع في وسائل الإعلام الإلكترونية، أو فن توجيه المحتوى في أنواع جديدة من الخطاب، كالبريد الإلكتروني، صفحات المواقع، ألعاب الفيديو، المدونات، والصور المعدلة ليناسب الوسط الذي يقدم عبره "الإنترنت".

الكاتب الرقمي عليه أن يكون "ملماً بلغات البرمجة المختلفة وتعلم برامج متعددة منها: الفوتوشوب وال فلاش ماكرو وميديا والباور دايركتور وعلم الجرافيكس، الخ. كما يجب على الناقد الرقمي الجديد الإلمام بكل الخصائص الفنية والوظيفية لإنشاء نص روائي ناضج. ثم القارئ التفاعلي الذي سيغير عنه الأدب الرقمي، القارئ الرقمي لم يعد سلبياً كما كان حال القارئ الورقي، يستطيع الاختيار من خلال تقنية الهايبرتكست حيث يستطيع الذهاب مع لينك معين وتجاهل لينك آخر، أو العودة والمزاوجة بينهما وفي كل قراءة سيخرج بشيء مختلف وربما رواية مختلفة.

الصفحة تنشر كاملة على الموقع الإلكتروني بالاتفاق مع مجلة الجديد الثقافية اللندنية

تنشيط روابط الحكى التي تأخذ شكل كلمات أو جمل متناثرة هنا وهناك، يتاح للقارئ الانتقال إلى وجهات سرديّة أخرى أو الوصول إلى حكايات فرعية أصيلة في متن النص. هذا الترابط مع تشعبه وتعددّه قد يشي بالتشعبت والمناهة والتشعب «النصوص التشعبية» (أو المتشعبة) مقابلاً للأصل المصطلحي (hypertexte).

### الأدب الإلكتروني / الرقمي الذي هو: أعمال أدبية يتم إبداعها عبر وسائط الاتصال وتُنشر أولاً عبر شبكة الإنترنت

أما الرواية "التفاعلية" فلهذه التسمية ميزة إبراز ديناميكية العلاقة التي تنشأ بين النص الرقمي وقارئه، يُبرز المصطلح الجانب الآتي من السرد الجديد: النص والقراءة معا هما حصيلاً حركات متبادلة يتوقف بعضها على بعض، بين جهاز الكمبيوتر/ مجموعة من البرامج، من جهة، والقارئ من جهة ثانية. دون تدخل القارئ لن يحقق التفاعل. باستثناء مصطلح الـ hypertexte، لا مانع في استخدام المصطلحات كلها "رواية رقمية/ إلكترونية/ تشعبية/ تفاعلية" للدلالة على النص؛ فكل تسمية تركز على بُعد من خصائص الكتابة الرقمية (عبر الكمبيوتر، توظف خصائص يوفرها الجهاز مثل

وتداخل الحقول المعرفية»، كما «النص - الشبكة»، وموت المؤلف» عند رولان بارت، ثم «نهاية الكتاب» واللامركزية عند دريدا، و«نص» جوليا كريستيفا، بل وحتى «متاهة» بورخيس، إلخ. كل ذلك وجد نفسه مشدوداً للنص التشعبي» بأكثر من خيط. ولدت عدة مصطلحات معبرة عن النص الروائي الرقمي الجديد «الرواية الرقمية»، «الرواية الإلكترونية»، «الرواية التشعبية»، «الرواية الترابطية»، «الرواية التفاعلية»، ثم «رواية الواقعية الرقمية». إجمالاً يمكن أن نحصل على ثلاثة مصطلحات: «ترابطية» أو «تشعبية»، «إلكترونية»/ «رقمية»، ثم «التفاعلية».

الملاحظ أنه إذا انتقلنا إلى محركات البحث بشبكة الإنترنت وجدنا الرسل الواحد يُصنف في أكثر من خانة. مرد هذه «البلبلية الاصطلاحية» - إن جاز التعبير - كون الوضع الاعتباري للأدب الجديد لم يتحدد بعد، والإنتاج لم يبلغ من التراكم ما يتيح التمييز بوضوح بين أجناس فرعية داخل النوع الجديد. الرواية «الرقمية»، والرواية «الإلكترونية»: تشتركان في غياب السند الورقي، وما أن يخضع نص ورقي للرقمنة حتى يكتسب صفة «رقمي»، من هذه الزاوية، يكون اصطلاح «الرقمي» عامّاً تندرج تحته الكتابة الخطية والتشعبية على السواء. كما يركز اصطلاح «رقمي» على الطبيعة غير المادية للسند، يركز رديفه «الإلكتروني» على الكمبيوتر باعتباره الجهاز الذي بواسطته يتم رقمنة النصوص. الرواية «مترابطة» و«تشعبية» يشتركان في غياب الخطية فعبير

هما «الزمن القذر» لالان شيفو وجيل ارمانييتي وفرايك ديفور و20 بالمئة حب زيادة» لفرنسا كولون. وقد بدت التفاعلية في تلك الأعمال المبكرة، ليس أكثر من التعليق على النص الرقمي قبولاً أو غيرهِ، دون المساس بالمتن. في ما بعد ظهر النص التشعبي الذي يتشكل بمشاركة عدد من المهتمين بالنص الأدبي الجديد. لعل معظم نظريات القرن العشرين في النقد الأدبي والفلسفة كانت مُبشرة بظهور «النص التشعبي» باعتباره العمود الفقري لهذه الكتابة الرقمية التشعبية الجديد ومنها: «حوارية» باخترين، «جنت» كما عند ميشال فوكو، «موت المؤلف»

كما راجت الكتابة الإبداعية المشتركة باستخدام المنديات والمواقع الثقافية المتخصصة التي ظهرت لاحقاً.. أن يبدأ أحدهم كتابة نص ثم يضيف عضو آخر على النص، ثم ثالث وهكذا. الرواية هي أول عمل وظف الكمبيوتر لإنجازه، والتشعب ظهر عام 1986 في أميركا، تحت عنوان «بعد الظهيرة» لمايك جويس، وكان ثمرة لقاء مؤلفين حول البرنامج المعلوماتي «فضاء الحكى» (Storyspace) والناشر (Eastgate) ومؤلف نقدي تحت عنوان «الكتابة الفضائية». عشر سنوات بعد ذلك يظهر أول نصين لفرنسيين



الكتابة لم تعد فردية (لوحة للفنان محمد ضالما)

السيد نجم  
كاتب مصري

انتجت التقنية الرقمية العديد من الأصناف من النصوص الأدبية، منها التخيل الإلكتروني سواء بتوظيف معطيات الإنترنت أو بمجرد توظيف اللغة الخطية فقط مع القراء والمطالعة على شاشة أجهزة الكمبيوتر. وكذلك إنتاج الشعر الحركي الذي يعرض على هيئة فلاش واستخدام أنظمة تشغيل أخرى. ويمكن توظيف الشكل الحواري كما في المحادثة الفورية أو "Chatterbots". ثم مشاريع الكتابة التعاونية التي تسمح للأحزاب بالمساهمة بنص ما مثل الروايات التي قد تأخذ شكل رسائل في البريد الإلكتروني. وكذلك النصوص الفيديوية التي توظف صفحات الفيسبوك. ثم الرواية والنصوص التفاعلية والذي يسمى أيضاً بالـ "Interactive fiction".

وكان الأدب الإلكتروني / الرقمي الذي هو: أعمال أدبية يتم إبداعها عبر وسائط الاتصال وتُنشر أولاً عبر شبكة الإنترنت. يمتاز بعناصر هامة، منها سهولة الوصول إليه، قلة قيود النشر، والتفاعل القوي مع جمهور القراء مباشرة على شبكة الإنترنت. مظاهر "التفاعلية" عبرت عن هوية النصوص الرقمية: رواج الكتابة الإبداعية المشتركة خلال فترة مبكرة من ظهور التقنية الرقمية، بسبب أن "خدمة البريد الإلكتروني" التي سبقت ظهور شبكة الإنترنت بشكلها المعروف، وهذا شجع فكرة التأليف الجماعي للنصوص.